دلالة المصطلح والتواصل الإنساني

د. يوسف محمود

شبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا

كلها ابتداءً من لحظة ولادة الإنسان وحتى وفاته. فالطفل حينما يبكي ليعبر عن الألم أو حاجته للنظافة يتواصل مع ذويه بهذا البكاء، وعندما يبتسم لوالدته فإنما يعبر عن سروره بأسلوبه البريء هذا. ومع تقدم حياة الطفل يتطور أسلوب تواصله حيث تصبح اللغة هي الوسيلة الرئيسية لذلك؛ فاللغة هي وسيلة التواصل الرئيسية بين بني الإنسان.

وضرورة التواصل بين بني الإنسان تنبع من كون الإنسان، كما يقال، **مدنيٌ بالطبع**. وهذا ناجمٌ عن حاجة الإنسان للآخرين لتلبية الكثير من احتياجاته التي لا يستطيع تلبيتها بمفرده. فالمهارات اللازمة لتلبية الاحتياجات البشرية لا تتوافر لفرد بمفرده وإنما هي موزعة بين الأفراد بشكل متفاوت، انظر إلى قول الحق جلت حكمته: " . . . **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا** . . . ". وهذا يقتضي الاعتماد المتبادل بين بني الإنسان كأمر لازب لديمومة الحياة الإنسانية، وقد عبر الشاعر العربي عن هذا الأمر بقوله:

الناس بالناس من بدو وحاضرة الناس للناس وإن لم يشعروا خدم

ولأهمية التواصل الإنساني المحورية نجد أن مايكل هل Michael Hill قد عد التواصل الهدف الأول من أهداف نظام التعليم في بريطانيا وذلك في كتابه الذي قام مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية بترجمته والموسوم ب " أثر المعلومات في المجتمع ".

ومكونات اللغة، أياً كانت نشأتها سواء وضعيةً كانت أم توقيفية، عبارة عن مفردات، (كلمات) تقترن بدلالات (معان/ فهم مشترك) يصطلح أو يتفق الناس عليها في مجتمع ما، تشير إلى مختلف جوانب مستلزمات الحياة البشرية التي تقتضي التواصل البشري. ومن هنا كانت للمفردات ودلالاتها أهمية محورية في التواصل الإنساني وديمومة الحياة ذاتها. ومع تشعب الاحتياجات البشرية المواكبة لديمومة الحياة واستمرارها، تتشعب وتتنوع المفردات التي يستخدمها الإنسان في عملية التواصل، بحيث تستخدم بعض المفردات بدلالات خاصة تتعلق باحتياجات إنسانية معينة وتكون متداولة بين المهتمين بهذه الاحتياجات بله التخصصات إن شئت. وبطبيعة الحال فإن المفردات التي تمس الاحتياجات الإنسانية العامة التي تلزم لجميع بني الإنسان تكون دلالاتها واحدة للجميع في كل لغة من اللغات، ولو إن بعض المفردات تحمل في ثناياها دلالات خاصة تعتمد على المجموعة البشرية التي تنطق بلغة ما تختلف عن مفردات مثيلاتها في لغة أخرى. وبالتالي فإن هناك صنفين من المصطلحات/المفردات ذات الدلالات الخاصة:

١ -الصنف الأول يتكون من المصطلحات التقنية أو الفنية في التخصصات المختلفة كعلم الفيزياء والطب والرياضيات وعلم النفس. . . إلخ. ولن نتعرض لهذا الصنف في مقالتنا هذه لكونها معروفة بين أهل الاختصاص.

٢ -والصنف الثاني يتكون من المصطلحات ذات الدلالات الحضارية أو التي تحمل دلالات تخدم أغراضاً معينة لواضعيها. ودلالات هذا الصنف من

المصطلحات تختلف باختلاف الأمم والشعوب وهو وثيق الصلة بهويات الأمم والشعوب، ومن ذلك مصطلحات مثل: الحداثة، وحقوق الإنسان والسلام والحرية والإرهاب، الذي دخل الساحة الفكرية حديثاً، وغير ذلك.

ومن الجدير بالاعتبار أن حضارة الإسلام لم تغفل الإشارة إلى ضوابط استخدام المصطلح، وأهمها:

١ - الدقة في الدلالة والاستخدام، وهذا جزء مما تتضمنه الآية الكريمة: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا يصلح لكم "

٢ - تجنب استخدام المصطلحات ذوات الدلالات المناقضة لهذه الحضارة، والدليل على ذلك الآية الكريم: " . . . لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا . . "

سنتناول في هذه المقالة بالحديث الدلالة الاصطلاحية لبعض المفردات وأهمية ذلك في التواصل بين بني الإنسان، سواء هؤلاء الذين ينتمون لحضارة واحدة أو بين الأفراد أو المجتمعات من حضارات مختلفة. وسيتبين لنا أن لفهم هذه الدلالات الدور الرئيسي في تحقيق السلاسة واليسر في عملية التواصل من جهة، إضافةً إلى أن اختلاف الدلالات الاصطلاحية قد يستخدم في عملية تمرير أغراض معينة أو في عملية تدليس في عملية التواصل.

المصطلحات الإنسانية

نشمل في حديثنا عن المصطلحات ذات الدلالة الإنسانية والتي تنتمي للصنف الثاني الذي يختلف باختلاف الحضارات. ويحصل الخلل في التواصل الإنساني إما نتيجةً لعدم التحديد الدقيق لدلالة المصطلح أو للبس في هذه الدلالة، وإما لعدم فهم المتلقي لهذه الدلالة. بالنسبة للمصطلحات في العلوم الطبيعية، كالفيزياء والكيمياء والفلك فإن اللبس في الدلالة المصطلحية غالباً ما يحصل لدى المبتدئين من المشتغلين في هذه العلوم الأمر الذي يؤثر سلباً على تعلمهم، أما في الجوانب الإنسانية، فإن اللبس غالباً ما يحصل عند اطلاع غير المختصين أو

أشباه العلماء على الكتابات المتضمنة للمصطلحات. وغالباً ما تنشأ الاختلافات في الرأي في القضايا الإنسانية نتيجة عدم فهم الدلالة الاصطلاحية المتداولة في الخطاب. سنقتصر على الإشارة إلى بعض المصطلحات في الأمور الإنسانية لكون الاهتمام بالمصطلحات من الصنف الآخر يقتصر على أهل الاختصاص فحسب وبالتالي فلا تهمنا في هذه المقالة الموجزة.

١ - الدين

يأخذ مصطلح الدين في الإطار الحضاري الإسلامي معنىً متفرداً يختلف عن أية مفردة، تقابل هذا المصطلح، في أية لغة ولأية حضارة من الحضارات أو دين من الأديان. حيث إن مصطلح الدين، أو المفردات المقابلة له، في الأطر الحضارية المختلفة تحصر دلالته على العلاقة بين الإنسان وخالقه أو الجوانب التأملية الجوانية للإنسان، ولا علاقة له بعلاقة الإنسان بغيره من بني الإنسان أو بضبط السلوك الإنساني ونمط الحياة والمعاش. فالدين في تلك الحضارات أمرٌ فردي ولا علاقة له بالمجتمع. على النقيض من ذلك فإن مصطلح الدين، في الإطار الحضاري الإسلامي، يشمل نواحي الحياة والمعاش جميعاً دونما تمييز بين أمور فردية أو أمور مجتمعية. هذا ما تدل عليه أدلة الشريعة الغراء، فمن ذلك قول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: " **أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين** "، ومن ذلك قول الرسول الكريم: " **الدين المعاملة** ". وقد انتبه إلى هذه الدلالة كثيرٌ من المفكرين منهم: علي عزت بيغوفتش في كتابه الموسوم ب " **الإسلام بين الشرق والغرب** " حيث ميز بين ثلاث نظرات فلسفية، هي: النظرة المادية والنظرة الدينية والنظرة الإسلامية.

ولا يخفى مقدار اللبس الذي يحصل في التواصل مع ذوي الحضارات المختلفة إذا لم يتم تحديد دلالة مصطلح الدين بدقة.

٢ - العقيدة والإيمان

يدل استقراء آيات الذكر الحكيم على أن العقيدة والإيمان في دين الإسلام يأتيان نتيجة عملية التفكير والتدبر في ظواهر الكون المحسوسة المختلفة، ولا يجوز تقليد الآخرين في الاعتقاد. بل نجد أن القرآن الكريم يذم تقليد الآباء في هذا المجال. فالآيات الكريمات: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ و ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ و ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ صريحة الدلالة في هذا السياق. بينما في الأديان والحضارات الأخرى نجد الأمر مختلفاً؛ إذ أن منشأ الإيمان والاعتقاد هو التسليم دونما فكر ونظر، وإنما لسان حال أصحابها سلم بهذا الدين أو ذاك وانظر إلى تأثير ذلك في حياتك. ولعلنا لا نبالغ إذا ما قلنا بأنه لا توجد حضارة أو دين أحل التفكير المنزلة التي أحله فيها دين الإسلام وحضارته. هنا أيضاً يتبين لنا أهمية تحديد الدلالة الاصطلاحية لهذين المصطلحين عند التواصل مع الآخر.

٣ - الإبلاس والإعجاز

تتعلق هذه المصطلحات بموقف قريش خاصةً والعرب عامةً من القرآن الكريم عندما بدء نزول الوحي الإلهي على محمد عليه الصلاة والسلام، وكذلك تتعلق بإثبات صدق النبوة الشريفة. وهذه المصطلحات لم ترد لا في القرآن الكريم ولا في سنة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. فقد ظهر مصطلح إعجاز القرآن الكريم لأول مرة في كتابات المعتزلة على أيدي نفر من كبار مفكريهم وعلى رأسهم: الجاحظ والرماني والخطابي. ثم استخدم المصطلح عبد القاهر الجرجاني في كتابه ذائع الصيت "دلائل الإعجاز" وتلاه الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن". وقد كان للمحاججة المتعلقة بالإجابة على

السؤال: ما الذي أعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثل القرآن الكريم أو حتى بصورة منه؟ الأثر الكبير في ظهور هذا المصطلح. أي أن المصطلح كان مقروناً بالتحدي، المصطلح الذي أدخله مفكرو المعتزلة أيضاً، ولم يكن الحديث عن أدلة صدق رسالة الإسلام بعامة. بيد أن عدم التحديد في استخدام المصطلح قد صاحبه منذ البداية : فقد كانت دلالته مختلطة بأدلة صدق رسالة الإسلام بعامة. تجد عدم التحديد في رسالة الرماني في إعجاز القرآن وتجده بصورة أكثر وضوحاً في إعجاز القرآن للباقلاني ثم تجده أيضاً في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي. ولعل محمود محمد شاكر، في القرن العشرين، من القلائل الذين أولوا هذا المصطلح أهمية من جهة الدلالة الاصطلاحية وذلك في كتابه الموسوم ب " ثلاثة مداخل إلى إعجاز القرآن ". وقد تفرد هذا العالم الجليل عن سائر علماء المسلمين، قديماً وحاضراً، بإدخال مصطلح جديد بديل عن الإعجاز؛ هذا المصطلح الجديد هو الإبلاس، حيث تتعلق دلالته بتوصيف الحالة النفسية التي سادت لدى العرب حين تلقيهم وسماعهم للقرآن الكريم. والإبلاس عند محمود شاكر يعني حالة من الذهول تعتري النفس الإنسانية عند مشاهدة أمر ما تجعلها توقن بعدم القدرة على مجاراة ما تشاهد مما يجعل الإنسان لا يحاول ابتداءً. بينما، في حالة مصطلح الإعجاز اليقين بعدم القدرة على مجاراة ما يشاهد لا يكون متوفراً، إذ قد يحاول إنسان ما مجاراة ذلك ثم يتبين له عدم الاستطاعة بعد المحاولة عندئذ يقال بأن الإنسان قد وقع في العجز. ومن الأمثلة على حالة الإبلاس هذه نذكر ما يلي:

- **موقف الوليد ابن المغيرة من القرآن الكريم**

فبعد أن تداول أمر محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مع نفر من قريش رد قولهم بأن محمداً صلى الله عليه وسلم كاهن أو مجنون أو ساحر وقال: " والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة " وما أنتم بقائلين من هذا

(كاهن أو مجنون أو ساحر) إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر.

- **موقف عتبة ابن ربيعة من القرآن الكريم**

حبث روى ابن هشام مقولة ابن أبي ربيعة عند سماعه بضعة آيات من بداية سورة فصلت عندما سأله قومه عما وراءه: " ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ".

- **ما جاء في سبب إسلام أبي ذر**

يقول أبو ذر رضي الله تعالى عنه: " قال لي أخي أنيس لقيت بمكة رجلاً يقول: إن الله تعالى أرسله، فقلت: فما يقول الناس؟ قال يقولون شاعر، ساحر، كاهن، قال أبو ذر (وكان أنيس أحد الشعراء): فقال (أي أنيس): تا الله لقد وضعت قوله على أقراء الشعراء (أي قوافيه) فلم يلتئم على لسان أحد، ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون ".

- **استماع فريق من قريش إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم**

فقد روى ابن هشام عن ابن شهاب الزهري أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق الثقفي خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا. فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، . . . وتكرر ذلك منهم لثلاث ليال. فلما أصبح الأخنس استفهم من أبي سفيان عما سمعه فقال أبو سفيان: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما

عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به كذلك. أما أبو جهل فقال بعدما استفهم منه الأخنس عما سمعه: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنوعبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء؛ فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه.

- **قصة إسلام عمر بن الخطاب**

وهي معروفة ومتداولة لا داعي للإفاضة في ذكرها، وخلاصتها أنه، رضي الله تعالى عنه، عندما قرأ عند أخته، فاطمة بنت الخطاب، من بداية سورة طه قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!

- **حيثيات إسلام سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه وأسيد بن حضير**

هذه مجرد عينات من الشواهد على هذا الأمر، وهذه الحالة من الإيلاس هي التي تفسر عدم إتيان العرب بمثل هذا الكتاب رغم تقريعهم في التحدي رغم وجود الدوافع القوية لذلك لكونه يوفر عليهم مؤونة سفك دمائهم بأيديهم، حيث الأخ يقتل أخيه والإبن يقاتل أبيه. فلو استشعروا القدرة على الإتيان بمثله لوفروا على أنفسهم تلك المشقة ولما سلكوا ذلك الطريق الوعر والذي ألجأهم إليه عامل الكبرياء بغير حق والنظر للمسألة نظرة تنافسية للشرف والعلو في الأرض.

ولكن عالمنا يقرر بأن لا مانع من استخدام مصطلح الإعجاز نظراً لتداوله في تراث الأمة قديماً وحاضراً، وهو يحصر ذلك في الناحية اللغوية محيلاً الأوجه الأخرى إلى أدلة النبوة وغير منكر لمضامينها. من ذلك يتبين لنا بأن سبب الاختلاف في أوجه الإعجاز المختلفة للقرآن الكريم إنما يعود إلى استخدام مصطلح الإعجاز بدلالات مختلفة؛ فالدقة في تحديد دلالة المصطلح تجعل الاختلاف لا مبرر له، ذلك أن الذين يحصرون مصطلح الإعجاز بالصياغة اللغوية

للألفاظ التي تؤدي المعاني يقصدون اقتران الإعجاز بالتحدي، بينما الذين يقولون بالأوجه المتعددة للإعجاز: كالإعجاز اللغوي والتشريعي والعلمي وغير ذلك إنما يقصدون كل ما يدل على صدق رسالة الإسلام، أي صدق محمد عليه الصلاة والسلام في دعوى النبوة. فالاختلاف، في هذه الحالة، ينشأ عن الاختلاف في الدلالة الاصطلاحية للإعجاز.

٤ - مصطلحات شرعية

ومن ذلك الحديث الصحيح وهو الحديث الذي رواه العدل الضابط عن العدل الضابط من بداية السند إلى منتهاه وكان يخلو من الشذوذ والعلة. ومثل هذا الصنف من الأحاديث تلزم المسلم بالعمل بمقضاها، وهذا أمرٌ متفقٌ عليه بين علماء المسلمين. ولكن، نظراً للاختلاف بين العلماء في التحقق من شروط العدالة والضبط المتعلقة بالرواة، فإنه قد يحصل اختلاف في التحقق من صحة بعض الأحاديث؛ فقد تثبت صحة حديث معين لدى أحد العلماء ولا تثبت صحته لدى عالم آخر. وهذا يعد أحد أسباب الاختلافات الفقهي في الشريعة الإسلامية. وهذا المصطلح، أي الحديث الصحيح، هو هكذا؛ أي صحيح، بالدلالة الاصطلاحية وليس بالدلالة اللغوية المطلقة كما قد يفهم من ذلك العامة من الناس وما يستتبع ذلك من النكير على مخالفيهم في بعض المسائل الفقهية. ولعل من نافلة القول إنه لا يجوز رد الحديث الصحيح بمجرد مخالفته لهوى الإنسان رغم أن صحته هي بالدلالة الاصطلاحية وليس اللغوية العقلية المطلقة.

وهناك مثلاً الحديث الغريب والذي هو أحد أصناف حديث الآحاد (غير المتواتر). فقد يظن بعض المسلمين ممن يطلعون على هذا المصطلح بأن الحديث الغريب يقابل الحديث الضعيف مثلاً والأمر ليس كذلك بطبيعة الحال. وكذلك الحديث الحسن حيث أنه حسن بالمعنى الاصطلاحي، وهو الحديث الذي تتوافر فيه شروط الحديث الصحيح باستثناء خفة في الضبط. أما المعنى اللغوي فليس

حكراً على هذا القسم من أقسام الحديث فأحاديث المصطفى كلها حسنة بالمعنى اللغوي العام.

ومن المصطلحات الشرعية التي حصل توسع في دلالتها مصطلحي الإيمان والشهيد. فمن البين أن مصطلح الشهيد قد أكسبه الإسلام دلالة خاصة بمعنى من يقتل في حرب مشروعة لإعلاء كلمة الله تعالى وضمن الشروط والمواصفات التي حددتها شريعة هذا الدين. ومصطلح الإيمان حدده الحديث الشريف (حديث جبريل عليه السلام) بأركان معينة معروفة لدى المسلمين. بيد أنه لا يخفى ما اعترى هذين المصطلحين من توسعة في الاستخدام، الأمر الذي يؤدي إلى لبس في التواصل بين المسلمين وبين سواهم؛ فالشهيد أصبح يعني كل من يقتل في سبيل قضيته أو في سبيل الواجب، ومصطلح الإيمان والمؤمنين أصبحا يدلان على مطلق الإيمان بوجود خالق لهذا الكون، فيقال المؤمنون مقابل الملحدون ووجد من ألف كتاباً بمسمى " العلم يدعو إلى الإيمان " بالمعنى المستجد لمصطلح الإيمان.

٥ - الروح والروحانية

تتكرر مقولة إن الإنسان يتكون من مادة وروح في الكتابات المعاصرة، وأن للمكون المادي احتياجاته كما وأن للروح إحتياجاتها وينبغي توخي وجود توازن في إشباع الحاجات الروحية والحاجات الجسدية للإنسان. والحقيقة ÷ي أن هناك لبسٌ كبير بين دلالتين مختلفتين تماماً لمصطلح الروح في مثل هذه الكتابات؛ دلالته في إطار الحضارة الغربية، التي تمتد جذورها إلى حضارة الإغريق، ودلالة الروح في الحضارة الإسلامية. فمن ضمن الآراء التي سادت لدى الإغريق فكرة أن النفس/الروح كانت، قبل حلولها بالجسد، في عالم السموات/عالم المثل والذي كان يتسم بالتقديس والسمو لتعلقه بعالم الآلهة (والتي هي النجوم والكواكب/الأجسام السماوية)، بينما الجسد، يتألف من مادة الأرض والتي كانت تعد مملكة التغير والتحلل والفساد، وعندما حلت

الروح بالجسد وأصبحت أسيرة له، أخذت تحن إلى عالمها العلوي المقدس، وبالتالي نشأت فكرة الأشواق الروحانية والسمو الروحي وفكرة حاجات الروح وسموها مقابل النظر بازدراء إلى الحاجات الجسدية لكونها متعلقة بمادة الأرض التي تتسم النظرة إليها بالدونية لدى الغرب. ومن هنا نشأت فكرة تعذيب الجسد لدى بعض أصحاب الديانات الشرقية ولدى الغرب في عصور الظلام. هذه الفكرة الإغريقية الوثنية التي تبين اشتياق الروح (أو النفس) إلى عالمها السماوي السامي تجدها بينة في قصيدة ابن سينا التي يقول فيها:

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقـــاء ذات تعـــزز وتمـــنع
محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهـــي التي سفـــرت ولـــم تتبرقـــع
وصلت على كره إليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت ... ألفت مجاورة الـخـــراب البلقـــع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى ... ومـــنازلاً بفـراقـــها لـــم تقـــنع

أما مصطلح الروح، في دين الإسلام وحضارته، فذو دلالة مختلفة كما يتبين لنا من استقراء المواضع من القرآن الكريم، التي ذكر فيها هذا المصطلح. فقد جاءت مفردة الروح لتعني سر الحياة وذلك في الآية الكريمة: " ويسئلونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا " ٨٥ الإسراء، وكذلك في قوله تعالى: " وإذ قال ربك للملائكة إني خالقٌ بشراً من صلصال من حمإ مسنون ❖ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " ٢٨، ٢٩ الحجر. ووردت أيضاً بمعنى جبريل عليه الصلاة والسلام، حيث يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: " نزل به الروح الأمين "، ووردت أيضاً بمعنى خلقٌ عظيم لا يعلمهم إلا الله تبارك وتعالى وذلك في قوله جل من قائل: " تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة " ٤ المعارج وفي قوله تعالى: " يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال

صوابا " ٣٨ النبأ، ومن بديهي القول إن من يقرر بأن الإنسان يتكون من مادة/أو جسد وروح إنما يعني بالروح سر الحياة التي استأثر الله جلت قدرته بعلمها، ولا يعلم عنها الإنسان شيئاً ولا يصح بالتالي سحب الدلالات الغربية، والمتبطة بوثنية الإغريق، عليها، ولا نستطيع القول إن للروح (أي سر الحياة) حاجات ينبغي إشباعها لكوننا لا نعلم عنها شيئاً. أما العبادة في الإسلام فقد عد الإسلام النية هو مناط اعتبارها والمعيار لقبولها، حيث يقول الرسول الكريم: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى " ويقول أيضاً: " ليس للعبد من صلاته إلا ما وعى منها ". ويقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: " النية بالنسبة إلى العمل كالروح بالنسبة إلى الجسد "،فالعبادة المعتبرة تشمل حركات الجوارح (فعل الجسد وهو مادي) ونية ووعي بخصوص العبادة، والذي هو عماد القبول أو عدمه.

٦ - الأصولية الإسلامية

يكثر الحديث في هذه الحقبة من الزمن عن مصطلحات غريبة على الساحة الفكرية الإسلامية، مثل: الأصولية الإسلامية، والإسلام الوسطي، والتطرف الإسلامي وغير ذلك من المصطلحات الشبيهة. والحقيقة هي إن هذه المصطلحات يعتريها قدرٌ كبير من عدم الدقة. فلا وجود لمصطلح/مفردة أصولي البتة في قاموس الإسلام كما يقرر محمد فاروق الزين في كتابه الموسوم ب " المسيحية والإسلام والاستشراق " من منشورات دار الفكر المعاصر (بيروت) ودار الفكر (دمشق). فلا وجود لمسلم أصولي أو مسلم وسطي أو مسلم متطرف. حيث إن هناك إسلامٌ واحد فحسب، وبمعياره يقاس مدى بعد إنسان ما عن هذا المصطلح. وكذلك بمعياره يقاس فعلٌ ما بمدى انجامه مع حقيقة الإسلام أو انحرافه عنه. فإن كان الفعل أو الشخص منسجم مع الإسلام يكون الفعل فعلاً إسلامياً وإن تناقض مع الإسلام يكون فعلاً لا إسلامي ولا يجوز نسبته إلى الإسلام ابتداءً وذلك بإضافة متطرف أو أصولي أو غير ذلك من المفردات

الشبيهة. والحقيقة هي إن مصطلح الأصولية غربي النشأة، ويشير إلى التفسير الحرفي للكتاب المقدس عند المسيحيين في الغرب.

٧ - الحداثة وما بعد الحداثة

نلاحظ من استقراء الأدبيات المعاصرة شيوع هذين المصطلحين، سواء في مجال الأدب والشعر أو في جوانب الحياة الأخرى مثل: الفلسفة، والثقافة، وهندسة العمارة وسواها. وقد نشأ مصطلح الحداثة في أوروبا في نهاية القرن الميلادي التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ويقصد به نبذ القديم من موروث الحضارة الغربية السابق لعصر النهضة والتمرد عليه والاتكاء على معطيات هذه الحضارة التي استجدت بعد عصر النهضة والتنوير الأوروبيين. أما مصطلح ما بعد الحداثة فظهر كردة فعل، لنبذ الحداثة أو للحد من هيمنتها على الأذهان، في منتصف القرن العشرين. بينما في دين الإسلام: " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا " ٣٦ الأحزاب. وهذا يعني أن المسلم مقيد بأمر من الله أو نهي في أمور حياته كلها، إذ يقول الله تعالى: " أيحسب الإنسان أن يترك سدى " ٣٦ القيامة. والسدى، كما يقرر الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه الأم: السدى في لغة العرب تعني الذي لا يؤمر ولا ينهى، مما يدل على أن الإنسان لن يترك دون أمر أو نهي في أفعاله كلها. بطبيعة الحال لا يشمل ذلك الأمور التقنية الفنية أو الأساليب الإدارية مثلاً. وبالتالي فلا وجود لدلالة مفردة الحداثة ولا مبرر لذلك في حضارة الإسلام، وسبب تدوله في بعض أوساط المثقفين المسلمين يعود إلى نوع من الانبهار بكل جديد في الحضارة المهيمنة في هذا العصر. وقد بلغ هذا الانبهار حداً جعل أحد المفكرين يقرر بأنه مع مقولة لا خلاص إلا بالإسلام بشرط أن يكون واضحاً أن المقصود بالإسلام هو ذاك المتمثل والمعزز لقيم

الحداثة المختلفة، فكأن المعيار هو هذه القيم وليس الإسلام الذي يتضمن كل ما من شأنه تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، فالقرآن الكريم فيه تبياناً لكل شيء حيث يتضمن القيم المتعلقة بعلاقات الأفراد بعضهم ببعض ويتضمن القيم المتعلقة بصلة الإنسان بالبيئة والمحافظة عليها ويتضمن القيم المتعلقة بالرفق بالحيوان، وكل ذلك بشكل لا مثيل له لا في قيم الحداثة ولا التي هي مما جاءت به ما بعد الحداثة. ويتناسى الحداثيون المآسي التي نتجت عن مجتمعات الحداثة ذاتها سواء على صعيد الحياة داخل تلك المجتمعات أو على صعيد علاقتهم بسائر المجتمعات.

٨ - الحرية

تتعلق الدلالة الاصطلاحية لمفردة الحرية في دين الإسلام بكون الإنسان يمتلك الإرادة الحرة free will وأنه ليس عبداً لإنسان آخر. وقد دل على هذا المعنى واقع حال البشرية وقت البعثة النبوية الشريفة حيث عادة الرقيق والاسترقاق كان شائعاً، فكان من الطبيعي وجود الرقيق (العبد) مقابل الحر، أي الذي هو منعتق من الرق، ولذلك نجد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لعمرو بن العاص: " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ " بمعنى ولدتهم أمهاتهم غير مسترقين. أما في الإطار الحضاري الغربي فإن لمصطلح الحرية دلالةً مغايرة لما هي عليه في دين الإسلام رغم أنها تتضمن ذلك. فالحرية بدلالتها الغربية تعني أن الإنسان حرٌ في أفعاله وسلوكه ما دام لم يتعدى على حدود الآخرين التي يحددها القانون والنظام المجتمعي المعني. فالمعيار المعتبر هو التعدي على حدود حريات الآخرين، بينما، في دين الإسلام، المعيار المعتبر هو حدود الله تعالى والتي تشمل عدم التعدي على الآخرين بطبيعة الحال. أما الانسجام مع هوى النفس في السلوك دونما ضوابط فقد عدته الشريعة الإسلامية عبودية للهوى، بينما في الدلالة الغربية يعد ذلك من ضمن الحرية ما لم يتعد على حريات الآخرين.

٩ - نقل التكنولوجيا

حيث يتم تداول هذا المصطلح بدلالة لا تنطبق على واقع التكنولوجيا وتطورها ويرتبط هذا الاستخدام بمغالطتين في منتهى الخطورة كما أشار سعيد شبار في كتابه الموسوم ب " المصطلح: خيار لغوي وسمة حضارية " الذي نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر ضمن سلسلة كتاب الأمة عام ١٤٢١ للهجرة الشريفة.

- فأولاً يفترض المصطلح علاقة نقل أحادية الاتجاه بين طرفين، أحدهما فاعل إيجابي يعطي، والآخر سلبي متلقي يأخذ.

وثانياً يفترض المصطلح أن التكنولوجيا هي شيء يمكن نقله من سياق اجتماعي حضاري لآخر.